**المحاضرة الأولى: مفهوم الفن وتاريخه**

تمهيد:

من تقاليد و أعراف علم الاجتماع البحثية و الاستقصائية الاهتمام بتطور المجتمع الإنساني و ثقافته و مشكلاته الاجتماعية كالجريمة و الجنوح و الانحراف و الطلاق و التشرد و الحروب و الكوارث و الطبقات الاجتماعية و سواها. بيد انه لم يول أهمية تذكر الى العطاء و الإنتاج الفني و الجمالي لشريحة المثقفين بل أهملها و يرى عملها ما هو ترفا يعكس الرفاهية و اللهو في أوقات الفراغ.

إنما مع تطور المجتمعات من المرحلة الريفية و تحولها الى المرحلة الحضرية و الصناعية و بروز طراز بارز بجانب طراز الحياة الحضرية يمثل جادة في طريق عيش  أهل الحضر و هي  جمالية التأنق و النزوق و التركيز على المظاهر الخارجية في الملبس و الهيئة المرئية للإنسان و في أثاث المنزل و طراز بنائه و نموذجه و استخدام هذه المظاهر الأنيقة و الزاهية لعكس المستوى الاقتصادي و المكانة الطبقية و الاجتماعية في المجتمع المحلي و العام و بسبب طغيان المجهول بين أبناء الحضر و عدم معرفة كل منهم لخلفية الآخر الاجتماعية و الاقتصادية و إزاء هذه الضبابية الاجتماعية فان  المظهر الخارجي للحضري يشير الى دلالات   ثقافية و ذوقية و طبقية.

هذه الحالة لم تكن سائدة في المجتمع الريفي بسبب الحضور المعلومي بين الناس إذ الكل يعرف الكل عن خلفياته الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العرقية و لان الناس في الريف تكون حياتهم بعيدة عن التكلف و التظاهر و التأنق الفائق لأنه يتعامل مع الآخرين من خلال خلفيته الاجتماعية  فضلا عن ذلك أن المواقع الحضرية في التنظيمات الديوانية –البيروقراطية – تتطلب الجاذبية الخارجية في الملبس و التجميل و التأنق لكسب ود و ثقة المراجعين و المقابلين له بل تتطلب التأنق في اختيار العبارات و الكلمات الرقيقة و الشفافة و الجميلة و اللطيفة. علاوة على التنوع و التبدل المتطلب من الحياة الحضرية إذ يستلزم تبديل رونق و تصميم و تزويق أثاث المنزل و ملابس الناس ديكورات المحلات بشكل دوري و مستمر كأحد متطلبات الحياة الحضرية لكي تحيا و تنتعش من اجل استمرار بقائها في المدينة و مجاراة نشاطاتها المتنوعة و المختلفة.

بالإضافة إلى العمل المرهق و الرتيب في الحياة اليومية الحضرية الذي يقتضي الراحة و استخدام وسائل ترويحية و مسلية و لإرخاء أعصاب الإنسان الحضري  لذا فان الحياة العصرية الحضرية تحتاج إلى تحديد  الأوقات بشكل أسبوعي و شهري و فصلي و سنوي للترويح النفسي و الجسدي كالرحلات و الذهاب إلى دور السينما أو مشاهدة عروض الأزياء أو زيارة المسرح أو صلات الموسيقى أو الرواق الفنية أو سماع موسيقى من أشرطة أو الذهاب إلى الأسواق المركزية للتسوق لما هو مطروح من موضات جديدة في الملابس أو الماكياج و باقي وسائل الأناقة الشخصية و المنزلية.

**مقدمة:**

كما أن التطورات الفنية سبقت تغير و تقدم السلوكية الاجتماعية و المجاملات الاجتماعية و الآداب العامة علما بان الفن يعد نتاجا فكريا و حسيا معنويا  إلا انه سبق التقدم في تركيبة الثقافة الاجتماعية و هذا يخالف ما طرحه عالم الاجتماع الأمريكي الحديث  **وليم أوكبرن**  في نظرية التخلف الثقافي التي  مفادها أن الجانب المادي للثقافة يتغير بشكل أسرع من تغير الجانب أو الجزء المعنوي لها.

بيد إننا نرى أن الفن يمثل الجانب المعنوي لكن مع ذلك فانه يتغير أسرع من الجانب لمادي للثقافة و يساعده على تطوير الابتكارات المادية – التكنولوجية لتصنيع الثقافة الفنية –سينما فيديو مسلسلات و تقنيات تصويرية و إنارة و أشعة ليزر و حاسوب جميعها دخلت في  خدمة الفن لكي يحقق أهدافه الفنية.

كما أن الأفكار الفنية المبدعة ساهمت في تطوير وسائل الفن التصويرية و الصوتية التمثيلية  و هذا يعني إن الجانب المعنوي أسرع من الجانب المادي أي نقيض ما طرحه **وليم اوكبرن** في موضوع التخلف الثقافي بتعبير آخر يبقى التخلف الثقافي قائما إنما معادلته تختلف أي أن الجانب المعنوي يتغير أسرع من الجانب المادي فيتولد التخلف الثقافي و هذه وجهة نظر.

و القيم الاجتماعية العربية التي تؤكد على الحياء و الكرم قد أثرت على الطراز الأزياء في الملبس و صور البناء تصميم المنازل و هندستها فالغرف يجب أن تكون واسعة المساحة و ان تكون هناك غرف خاصة باستقبال الضيوف  و أخرى لنومهم فضلا عن مفاضلة العربي للملابس المحتشمة و هذا يشير الى ان المعتقدات الاجتماعية تؤثر على طرز الأبنية و التنظيمات الاجتماعية و أصناف المجلات و الكتب انها في  الحقيقة تمثل أجزاء في الأوجه المادية للثقافة و بالوقت ذاته فان الأفكار الأخلاقية و الجمالية تتحول الى مبادئ اجتماعية في أشكال البناء  و الموسيقى و الفن و الأدب.

و جميع ذلك يمثل الأوجه المادية للجوهر المعنوي في الثقافة هذا ما أوضحه عالم الاجتماع الروسي الأصل الأمريكي الإقامة **بيترم سروكن**  و في نظر  سروكن أيضا أن كل ثقافة لها قيما غائية تمثل أهداف الثقافة و قيما تساعد الثقافة على الوصول إلى القيم الغائية.

فقيم الفن الغائية تتمثل في جماليته و تمثل قيم الفن الوسيلة في الفرشاة و الألوان و اللوحات الخشبية و الأدوات الموسيقية.لذا فان مجالات البحث و الاستقصاء في عطاء و انتاجات الشريحة الفنية من المثقفين مازال بكرا و خصبا و بالذات في المجتمع العربي لأنه غني بهذا الإنتاج بيد انه مهمل من قبل الباحثين الاجتماعيين و تحليله تاريخيا أو تراثيا و جغرافيا مكانيا و ثقافيا و نفسيا و جيليا و حقليا في حقل علم الاجتماع مثل علم الاجتماع وقت الفراغ و علم الاجتماع الاتصالات و علم اجتماع الحرف و لارتباطه بالحركات الفكرية مثل الواقعية و الرمزية و الطبيعية ...الخ.

كما أن الفن و الأدب موضوع صالح للفكر الإنساني الذي أراد لعالم الاجتماع أن يكون مثال -الإنسان المستقيم لأنه في حد ذاته موضوع يعطي قيمة و يحظى سلفا باهتمام القانعين بالقيم المستقرة و هذا مايجعل منهما موضوعا غير صالح في نظر عالم الاجتماع الذي يسعى قبل كل شيء لا إلى –الكلام عن الفن- بل الى إنتاج سوسيولوجيا علمية صحيحة لا تتهاون مع شروطها الخاصة حول المواصفات التي يجب توفرها في موضوع دراستها فهذا الموضوع اذ يبدي أحيانا ما يكفي لتسويغ أهمية دراسة ما فانه أفضى إلى دراسات كثيرة لم يكن هناك مبرر لخلودها سوى أهميتها الوثائقية لتاريخ العلوم الاجتماعية .

**1تاريخ سوسيولوجيا الفن:**

لم يول مؤسسو سوسيولوجيا سوى حيزا هامشيا للمسالة الجمالية فلم يتناول اميل دوركايم 1912مثلا مسألة الفن إلا انه يشكل في نظره نقلة للعلاقة بالدين و يرجع ماكس فيبر في نص كتبه حول الموسيقى و نشر بعد وفاته اختلاف الأساليب و الفروق بينهما إلى تاريخ صيرورة العقلنة و المصادر التقنية مرسيا بذلك أسس سوسيولوجيا التقنيات الموسيقية.

وحده **جورج سيمل** في العصر نفسه دفع حدود البحث قليلا إلى الأمام فقد يعي في كتاباته عن **رمبرانت** و **مايكل انجلو و رودان** إلى تبيان التكييف للفن و بخاصة في علاقاته مع المسيحية و إظهار اثر النظرة إلى العالم رؤية العالم على الأعمال الفنية و قد ابرز على نحو خاص الانسجام بين الميل الفني إلى الأشكال المتناظرة و المتناسقة و أشكال الحكم الاستبدادية و المجتمعات الاشتراكية في حين انه ربط بين الفردية و الأشكال الليبرالية للدولة و الأشكال الفنية المتنافرة. و من بين علماء الاجتماع الأكثر انصرافا لدراسة الفن هو أقربهم ما يمكن تسميته بالتاريخ الثقافي .

و كان التاريخ الثقافي ماثلا إذا في أساس نشوء سوسيولوجيا الفن ظهر هذا التيار منذ القرن التاسع عشر و كان جاكوب بوركهارت يرى أن في ذلك من المنحى السياسي و الثقافي  ما يساوي أو يفوق مافيه من فن بكل معنى الكلمة و يرى في كتابه  حضارة النهضة في إيطاليا.

أما مؤرخو الفن الانجليز أمثال **جون روسكن** و بخاصة وليام موريس فقد اهتموا بالوظائف الاجتماعية للفن و بالفنون التطبيقية و في فرنسا سعى **غوستاف لانسون** 1904 القريب من **دوركهايم** الى إعطاء التاريخ الأدبي وجهة سوسيولوجية مدافعا عن مقاربة تجريبية انطلاقا من وقائع بدلا من التوليفات النظرية المجردة  و الواسعة.

أما في القرن العشرين فقد عرف التاريخ الثقافي للفن تطورات مذهلة بخاصة في المانيا و النمسا في فترة ما بين الحربين العالميتين.

فيى عام 1926 صدر كتاب بعنوان à la renaissance   le Génie Histoire d’une notion de l’antiquité

للمؤرخ الناشئ **ادغار زيلسل** يصور فيه على مدى قرون من الزمن حركة انتقال فكرة العبقرية بين ميادين الإبداع و الاكتشاف المختلفة –شعراء و مصورون و نحاتون و علماء و مخترعون و مكتشفون و رحالة و يبين كيف أن القيمة الممنوحة أساسا للعمل الفني تتجه لان تنسب إلى شخص الفنان المبدع و كيف أن الرغبة بإحراز الشهرة و المجد .

لذا لم يكن يجرى البحث عن الذين يعلنون أو يقرون بأنهم يعملون في سوسيولوجيا الفن في ميدان السوسيولوجيا نفسه و لا في ميدان تاريخ الثقافة فسوسيولوجيا الفن ولدت على يد مختصين بالجماليات و تاريخ الفن و كانوا منهمكين بالسعي إلى إجراء قطيعة واضحة مع التركيز التقليدي على ثنائية فنانين/أعمال فنية بإدخالهم مصطلحا ثالثا في دراسات الفن هو المجتمع و قد ظهرت نتيجة هذا الجهد آفاق جديدة انبثق عنها اختصاص علمي جديد غير أن هناك أساليب كثيرة لاختبار الاحتمالات المستجدة .

إن الاهتمام بالفن و المجتمع شكل لحظة البداية لتأسيس سوسيولوجيا الفن بالقياس إلى الجماليات التقليدية أما بالقياس إلى التطورات التي حققها هذا الاختصاص فانه يبدو لنا اليوم عائدا لاتجاه تقادم يستحسن أن نطلق عليه تسمية –الجماليات السوسيولوجية  و هذا الاهتمام الشديد بالصلة بين الفن و المجتمع برز في علم الجمال و في الفلسفة في آن واحد خلال  النصف الأول من القرن الماضي في الفكر الماركسي و في فكر مؤرخي الفن غير التقليديين قبيل الحرب العالمية الثانية و بعدها.

**2-مفهوم الفن**:

ورد الفن في معجم الفلسفة على انه يطلق على ما يساوي الصنعة أو انه تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث و تأثرات  بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ.

 تعنى كلمة الفن مجمل الوسائل و المبادئ التي يقوم الإنسان بواسطتها بإنجاز عمل يعبر عن مشاعره و أفكاره فالعمل الفني تجسيد لفكرة ما بأحد الأشكال التعبيرية.

أما في الموسوعة البريطانية فيعرف الفن على انه استخدام التصور و المهارة لخلق نتاجات جمالية أو صياغة تجارب شعورية أو تهيئة مناخات  تتميز بحس جمالي.

 و تعرفه موسوعة **اينكارتا** بأنه نتاج النشاط البشري الإبداعي الذي يستخدم الوسائل المادية و غير المادية للتعبير عن الأفكار و العواطف و المشاعر الإنسانية.

و يوضح الأديب **الروسي تولستوى** المبادئ الأولية لفلسفة جمالية اجتماعية كانت و لا تزال إحدى الركائز الأساسية لتفسير مفهوم الفن فقد ركز تولستوى على مجادلة معظم النظريات الفلسفية الجمالية التي كانت سائدة لذلك و التي تعود تاريخ نشأتها إلى ما بين القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر و التي يتشكل قوامها في صياغة فحوى الفن على مبادئ غارقة في المثالية و مفاهيم شديدة النسبية مثل الحقيقة و الجودة و الحسن.

**أما الفن من المنظور الإسلامي** ليس بالضرورة أن يكون ذلك الفن الذي يدور حول الإسلام بل هو الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود و الفن الإسلامي هو الفن الذي يعبر عن العقيدة و من الأمور المسلم بها.

إن الإسلام يركز على ارتباط الفن بالأخلاق الحميدة و هو بذلك يسمو بالإنسان مشاعر و سلوكا إذن فالفن في كل الأحوال نتاج لكل إبداع إنساني و أحد ألوان الثقافة التي تم اكتشافها أو الاستدلال عليها قبل التاريخ و يمثل عملا إبداعيا يعتمد على مهارة المبدع و قد يكون محصلة لفكرة فردية أو من خلال فكرة جماعية و هو بهذا التصور عبارة عن محاولات تقوم على التعبير عن مكونات المبدع لتجسيد المشاعر الإنسانية  ذلك أن رسالة الفن تكمن في منحه الإنسان إحساسه المباشر بطبيعته الاجتماعية.

  .  **3**-**المفهوم الاجتماعي للفن**

الفلاسفة سبقوا علماء الاجتماع في تحديدهم لمفهوم الفن بسبب حداثة الأخير علم الاجتماع على الساحة المعرفية فمثلا ذكر الفيلسوف اليوناني أرسطو أن الإبداع الفني ينبعث من الدوافع الذاتية المتمثلة في  التوق الشديد و الرغبة الملحة للتعبير العاطفي..

في  الواقع هذا تحديد أولى لان كل فرد يمتلك دوافع تتطلب التعبير عنها  تخرج بصورة معاناة على شكل غناء أو رسم أو شعر أو موسيقى أو كتابة قصة أو مقالة أو تمثيل مسرحي أو سينمائي و سواها.

هذا على صعيد الفنان كفرد أما على صعيد  إبداعه كفنان يقول أرسطو أن أساس شكل كل فن يبدأ من التقليد أو المحاكاة للواقع الذي يحمل مرآة الطبيعة  البشرية فضلا عن ميل الإنسان نحو التمتع و التلذذ و الانبساط في التقليد آو الاقتداء الذي هو مفقود عند الحيوانات الدنيا لان الإنسان يستطيع عرض أو إظهار دوافعه التعبيرية المقلدة للطبيعة أو للظاهرة الاجتماعية.

و منه لان الخبرة الداخلية الذاتية تكون أساسا محركا للإبداع أكثر من الخبرة الخارجية في نظر أرسطو و نفهم أيضا أن هدف الفنان لا يذهب إلى تزويق مايراه أو يسمعه أو يريده للحدث أو للظاهرة بل التعبير عنه وجدانيا أولا و ربطها بمحيطها لتبدو على شكل صورة متوحدة و ليست متجزئة أو مشوشة.

و قد أضاف أرسطو إلى ما تقدم أن وظيفة الفن في هذا الضرب ما هي إلا وسيلة تطهيرية للعواطف و المشاعر التي يتم بواسطتها التخلص من عقدة نفسية يحصل من خلالها إفساح المجال للتعبير عن  طبيعتها تعبيرا كاملا. فضلا عن تنقية الذات و عدم السماح لتراكم العواطف المكبوتة التي تراكمت تحت تأثير ضغوط و قيود اجتماعية عندئذ تظهر هذه العواطف على شكل إبداع بناء و ليس مقوض أو هدام.

بتعبير آخر يكون الفن أحد الأساليب المقبولة اجتماعيا و ثقافيا للتعبير الذاتي المنبعث من الإثارة الواقعية لا الزائفة

أما الفيلسوف كانت فقد حدد الفن على أنه يمثل الخبرة الحسية المتكونة من تعاون الأحاسيس المستخدمة على شكل إدراك للزمان و المكان مبلورة معرفة فائقة و دقيقة بالموضوع المحسوس التي تقوم بدور الإحاطة بالحوافز و المنبهات تثير  أذاننا و تذوق لساننا و تحسسنا بدرجة الحرارة من خلال بشرتنا و برؤية الضوء بأعيننا و الإحساس بالأشياء الجميلة بواسطة مشاعرنا

و ينطلق كانت في تحديده للفن من الخبرة الحسية و ليس من الدوافع الذاتية المعبرة عن التعبير العاطفي و هذا أول فرق قائم بين تحديد كل من كانت و أرسطو و قد أوضح ميلا لإنسان لتقليد و محاكاة الموضوع المحسوس و هذه فقرة لم يتطرق إليها كانت فضلا عن عدم تناوله موضوع ميل الإنسان في إظهار دوافعه المقلدة في تعبيرها في  هذه الميزة اختلف كانت عن أرسطو بشكل واضح لكنه لم يقم بعقد مقارنة بين أحاسيس الحيوان الراقي و الإنسان .بينما انطلق الفيلسوف **شوبنهاور** في تحديده للفن من خلال مقارنته مع العلم حيث قال إن –الفن أشمل من العلم على الرغم من تقدمه و تراكم جهوده و تقصياته الحذرة و المحترسة و الدقيقة و مع ذلك فان الفن بمقدوره أن يصل إلى هدفه مباشرة بواسطة الحدس عن رموز الأشياء و هذا يتطلب من الفنان أن يكون عبقريا و نابغا بينما يتطلب من العالم أن يكون ذكيا فقط.

**المحاضرة الثانية :  مفهوم الفن عند علماء الاجتماع:**

-على الصعيد الاجتماعي رأى علماء الاجتماع جمالية الحياة اليومية من خلال تآكل ادعاء الفصل بين الفن و الحياة الاجتماعية اليومية في الوقت الراهن لان الفن مستخرج و مستوحى من صلب الحياة الاجتماعية اليومية و إيقاعاتها الرتيبة.

علاوة على تمييز علماء الاجتماع بين نوعين من الأحاسيس عند الإنسان و هي :

الأولى: يعبر عنها الفنان من واقعه الاجتماعي اليومي و تحويلها –الأحاسيس- الى فن يومي

و الثانية: أحاسيس تعبر عن مشاعر الناس الذين جعلوا من حياتهم اليومية منبعا يصب في مشاريع جمالية بواسطة أو من خلال هدف مترجم على شكل طراز أو أناقة أو تصميم موجود في أو على مظهرهم الملبسي كالأناقة أو على شكل أثاث المنزل لأن الناس يشاهدوا أذواقهم و ما يحيط بهم على شكل صور فنية.

و الشيء البارز في هذا التحديد هو أن علماء الاجتماع لم يروا أي حاجز و انفصال بين الفن و إيقاعات الحياة الاجتماعية اليومية بل هو جزء منها إنما الأكثر بروزا هو عندما تقارن تحديدهم مع تحديد الفلاسفة لمفهوم الفن و على الرغم من عدم اختلافها حول استناد الفن على قاعدة الأحاسيس إلا أن علماء الاجتماع ميزوا بين نوعين منها:

أي فصلوا في ترجمة الفنان للواقع يعكس الأول ترجمة الفنان الحسية لواقعه الاجتماعي اليومي فيما يرى أو يسمع أو يلمس أو يتعايش مع ظواهر أو مشكلات اجتماعية .

و النوع الثاني: تقييما حسيا يروى و يقص و يعبر عن أذواق الناس في الملبس و التزيين و التأنق في تعاملهم مع مظاهر الحياة الاجتماعية-الطبقية و المهنية و الثقافية- بالذات عندما يريد إبراز إمكانياتهم الاقتصادية و موقعهم الاجتماعية أمام الآخرين و ما هو حكمهم على ميول و اتجاهات تأنقهم و تذوقهم للمظاهر الاستهلاكية المترفة و لا يدخل أو يضع تقييمه الحسي مع مشاعر الناس الذين يريدون تصوير حياتهم اليومية.

**2- الفن نتاج اجتماعي:**

يعتمد العمل أو الإنتاج الفني على عدة متغيرات متنوعة تعيش في رحم المجتمع يتم تحديدها من قبل طبيعة و ثقافة و جغرافية و عرق و جيل و نفسية و طبقية أفراد المجتمع إذ لا يوجد متغير واحد له تأثيرا منفردا يقوم ببلورة الإنتاج الفني للفنان لأن كل متغير ببحث عن معنى خاص طبقا للمحيط الذي يبرز فيه و لا يمكن أن تكون باقي المتغيرات التي برزت في محيطات أخرى لها نفس التأثير بل تتباين بتباين نوعها و حجمها و فاعليتها هناك مثالا على ذلك : عدم تشابه الأجناس البشرية فيما بينها لأنها مختلفة في تدرجها الاجتماعي .

و كذا الحال مع الإيديولوجي العقيدة الفكرية إذ أنها تكتسب صفات مختلفة استنادا لاستعداد و مزاج و ميل و رغب الأفراد الذين يحملوها و يدافعون عنها فالفن التركي يختلف عن الفن العربي و الأخير لا يشبه الفن الألماني و فنون المجتمعات الرأسمالية تتباين مع فنون مجتمعات كانت تمثل المعسكر الاشتراكي   فالعمل الفني يعكس درجة تأثير المتغيرات الدائرة في المحيط الذي يعيش فيه الفنان و التي عادة لا تكن واحدة في تأثيرها بل يكون هناك تدرجا متباينا في تأثيرها إذ قد بكون متغير الطبيعة أقوى من المتغير الثقافي او العرقي وسواها و هي التي تبلور نوع الإنتاج الفني على الصعيد الموضوعي و الذاتي  .

أي أن عطاء الفنان ينتج عن تفاعل المتغيرات المذكورة سابقا على أحاسيس و ادراكات الفنان التي هي بالأساس سريعة التأثير بها فالمتغير الطبيعي الجغرافي على سبيل المثال يكون المناخ مؤثرا بشكل مباشر على الإطار الفكري للفنان و على مزاجه و عواطفه علما بان ليس كل أفراد المجتمع يستجيبون لدرجة حرارة الجو بنفس المزاج و العاطفة بل يختلفون  و الاختلافات الطقسية  -المناخية بين مناطق الشمال و الجنوب يؤثر على مزاج الناس في تلك المنطقتين على رؤيتهم لطبيعة و على أذواقهم و نزعاتهم نحو الأشكال التذكارية و النصب التاريخية و الرواقات الفنية فالفن المطروح عن الصعيد المصري مثلا غير الفن الذي يعرض في مدن القاهرة و الإسكندرية و الفن السائد في جنوب العراق ليس ذاته المنتشر و الممارس في شماله أو وسطه.

و يحصل  جميع ذلك بسبب تأثير الطقس المناخي الذي يؤثر على أسلوب الفن و إنتاجه الثقافي و الحالية مشابهو مع المتغير العرقي القومي الذي يقوم بالمحافظة على الهوية بشكل أقل مما تعمله الظروف و المتغيرات البيئية في الواقع تفرز المؤثرات العرقية أساسا ثابتا يتضارب مع المتغيرات التاريخية لكن مع ذلك فهو أكثر مرونة و قوة من المتغير الجغرافي لأنه يتأثر بالتنمية و التطور أكثر من الظروف الطبيعية التي  تظهر على الأرض و الفضاءات أو في الجو أن شكل الأعراق يتوحد فقط في المرحلة البدائية للتطور.

ثم يأتي متغير الأجيال الذي يمثل متغيرا سكانيا ديموغرافيا يعتمد على تاريخ ميلاد الفرد و مدة بقائه على قيد الحياة فتاريخ الولادة لا يمكن تغيره حيث لكل جيل صفاته الخاصة في المزاج و الذوق و أسلوب الحياة و علاقته بالأجيال السالفة من عمره.

إذ أن كل فترة تاريخية تمثل خبرة أفراد خاصة بأعمارهم تقدم تفسيرا جديدا  مضافا الى خبرات فترات تاريخية سالفة.

**2-1ثم يأتي المتغير الثقافي** الذي ينمو خارج إطار المعلومات الطبيعية و الحاجات الاجتماعية لأنه يربط العالم الموضوعي بالخبرة الطبيعية و بالمستلزمات الجاهزة و بالعالم الطبيعي. إذ أن إبداع الفرد يعود إلى نفسيته و ذوقه و مهاراته و إبداعه بذات الوقت فانه الإبداع لا يعود إلى المبدع ذاته بل يقدم للآخرين لكي يستمتعوا ب هاو يطربوا عليه.

**2-2و بخصوص  المتغير المادي التاريخي:** إذ توضح المادية التاريخية القاعدة المادية للفن على الرغم من تمتعه ببنية فوقية روحية لان العمل الفني يتبلور من خلال دوافع الظروف الطبقية و إنتاجها أي أن الإنتاج الطبقي يصبغ العمل الفني بنوعية إنتاجها المادي و رؤيتها للحياة و هذا يشير إلى أن الإبداعات الفنية لا تعكس الانطباعات الشخصية للفنان بل قيم الحياة العليا أو أفكار سابقة عن التصور بحيث لا يمكن تفسيرها على أنها نتيجة العمليات المتأصلة في المحيط المجالي.

**المحاضرة الثالثة : تفاعل الفن مع المجتمع:**

عند  الحديث عن علم اجتماع الفن يتبادر إلى أذهاننا تأثير الفن على المجتمع  و تأثير الأخير على الأول إذ نجد العديد من الأحداث الاجتماعية قد انطبعت على الفن أو عبر الفن بوسائله الجمالية مصورا دقائقها الحسية و القيمية و المعيارية و في بعض أشكاله آثارها و تبعاتها التي بدورها تساهم في تطور تقنياته على الرغم من عدم ترابط الفن بالمجتمع بشكل متراص أو تناغم كلي لان كل منهما مستقلا بذاته و معتمدا على الآخر في نفس الوقت. و يقوم المجتمع بتحفيز و تحريك آليات الفن ليأخذ شكله و لونه  ليبث أو ليرسل رسالته الفنية إلى الجمهور من اجل مشاهدة صورته الانطباعية و التأويلية.

أي أن الفن لم يتبلور من الفراغ بل من وسط الأحداث الاجتماعية القائمة و طالما الأخيرة في حالة تبدل و تغير فان اتجاهات الفن و طبيعته تتغير تباعا حاملا صفاتها و خواصها  و هذه الأحداث تقوم بتحريك و تحفيز الطاقات الإبداعية عند الأفراد الذين يحملون خامات إبداعية خلاقة التي تنمو و تتطور عند تفاعلها مع الأحداث و طرحها على الجمهور المتلقي الذي يستجيب إليها فيقوم بصقلها أو إنضاجها من خلال تذوقه لها جزئيا أو كليا بذات الوقت.

و هذا يوضح  الوظيفة المتبادلة بين الفن و المجتمع لان كل علاقة بينهما تولد تأثيرا بينهما بحيث يبلور نمطا جديدا في الفن أي يخلق التفاعل المشترك بينهما فنا جديدا يعكس نوع و طبيعة العلاقة بينهما و استجابة الفن للأحداث  الاجتماعية يؤدي إلى تغير في بعض أحداث المجتمع الثقافية موضحا تأثير الفن على سلوكية أفراد المجتمع و ذوقهم و طراز معيشتهم و رؤيتهم للحياة و تقلباتها و تطورها و تغيرها حيث تولد التغيرات الاجتماعية على صعيد السلوك و الفكر و الذوق و نمط العيش داخل المجتمع .

 و من هذه الزاوية تكون العلاقة بين الفن و المجتمع ممثلة سلسلة تأثيرات مترابطة لا يمكن كسرها أو فصلها أو عزلها إذ أن المجتمع يتبدل بواسطة الفن الذي هو نتاجه و الفن يواجه و يتحدى البناء الاجتماعي الذي يعكس  عددا من صفاته لكنه يشترك في  أو يساهم في تغير الطرف الآخر و يساهم في تغير النسق الذي يتأصل فيه التغير و بهذه العملية تظهر حالات متزايدة من كثافة الحوافز بشكل دائم و شديد التنافس بين القوى الفنية و الاجتماعية بأسلوب جدلي .

و العلاقة بين الفن و المجتمع تشبه علاقة الجسد بالروح و ذلك بسبب اختلاف مصالح المجتمع لكن في نهاية الأمر تلتقي هذه المصالح مع مصالح المجتمع .

 و مثال ذلك المجتمع العربي –الريفي الذي يطرح فنا يحاكي تقاليد ه الاجتماعية و أزيائه المحافظة و تغنيه بالطبيعة البيئية و الاعتزاز بتراثه الشفوي الذي يتم تناقله من جيل إلى آخر يستخدمه  في المناسبات الاجتماعية السعيدة و يتباهى به أمام أبناء المجتمع المحلي و أحيانا يستخدمه كأحد ألوان الفن الوطني- القومي في المناسبات الوطنية و الحالة ذاتها في المجتمع الصحراوي فلم نجد إنكار المجتمع العربي البدوي أو الريفي للفنون الريفية أو البدوية بل يعتز بها و عند تحضر المجتمع الريفي نجد المجتمع يتبنى الأساليب الفنية الحضرية المدينية للتعبير عن نمط عيشه الجديد المتحضر أي أن التغير الذي أصاب أو يصيب الريف العربي اثر على أساليب فئة و تطورها و لا يلغيها أو يتنصل  منها أو ينكرها.

**المحاضرة الرابعة : الفن عند رواد علم الاجتماع**

**أولا :** **نظرية ابن خلدون (1332-1406م**)

يرى ابن خلدون الإبداع الفني صفة مكتسبة وليست موروثة عند الفنان إذ يقال في هذا الخصوص والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل ونكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته على نسبة الأصل ،تكون الملكة ونقل معاينة وأتم من نقل الخبر والعلم .

ثم وضع ابن خلدون شروطا تهيئ للفنان وضعا نفسيا وجسديا تؤهله لتقديم انطباعه الفني وهي ما يلي :

1-     قناعته بموضوع عمله الفني .

2-     تعلقه النفسي بموضوع عمله الفني.

3-     أن تكون قريحته منطشة بلذة سارة .

4-     بعد نهوضه من نوم مريح .

5-     جمال مكان عمله .

6-     فراغ معدته من الطعام .

7-     الخلوة .

حيث ذكر ما يلي : لابد من الخلوة واستعادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار وكذا المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله شرط أن يكون على حمام ونشاط فذلك اجمع له وأنشط للقريحة .وخير الأوقات لذلك أوقات  البكر عند الهبوب من النوم ،وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجمام ، ربما قالوا أن من بواعثه العشق والانتشاء . والملفت للانتباه أن ابن خلدون يرى أن النسق الفني لا يستطيع أن يستقبل بذاته داخل البناء الاجتماعي عن باقي الأنساق الأخرى إلا إذا استغنى صاحب الدولة عن النسق العسكري كنسق معزز ومدعم للنسق السياسي وهذا لا يحصل إلا بعد أن يثبت الحاكم إقدامه في انساق البناء الاجتماعي ، او في حالة ضعفه في سلطته أي في نهاية حكمه،عندئذ يعتمد اعتمادا كاملا على النسق العسكري ويجعل من النسق الفني خادما له ومنفذا لأهدافه السياسية والعسكرية وليس الفنية .

لكن في المرحلة المتوسطة والتي يسميها –ابن خلدون – وسط الدولة ،عندئذ يقوم الحاكم بالاستغناء –نسبيا- عن النسق العسكري بعد ان قام – هذا النسق – بتمهيد أمره وتثبيت أركانه في البناء الاجتماعي ،عنئذ  ،تصبح حاجة الحاكم  إلى المباهاة أمام الدول الأخرى بثمرات ملكه وتكون مراتب الفنانين عالية ومتميزة على السلم (التدرج ) الاجتماعي ويكونوا من أصحاب الثروة والنعمة ومقربين من رجال السلطة ومجالسهم لأنهم (الفنانين) التي يستظهر على تحصيل ثمرات ملكة والمباهاة بأحواله وتثقيف أطرافه .

وفيما بين هاتين المرحلتين أو ما اسماه ابن خلدون وسط الدولة يستغني عن السيف ليحل مكانه القلم مكانه حيث يكون الاستقرار قد حل محل القلاقل والاضطرابات ولتنتقل الدولة هنا إلى مرحلة جديدة حيث قال وإما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره ولم يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام .

والقلم هو المعين له في ذلك ،فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع إغمادها ،إلا إذا أنابت نائبة أو دعيت إلى سد فرجه وما سوى ذلك فلا حاجة إليها ،فتكون أرباب القلم في هذه الحاجة أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلسا وأكثر إليه ترددا وفي خلواته نجيا . لأنه حينئذ التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه ،والنظر الى أعطافه ،و تثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله .

إن سياق الحديث عن نظرية –ابن خلدون –في الفن يلزمني ان لا اغفل بهذا الصدد عن ما تميزه بين نوعين رئيسين من الفنون ،الأولى سماها بالفنون الكمالية والثانية بالفنون الضرورية .

**ثانيا :** **-نظرية فيكو – عالم اجتماع ومؤرخ إيطالي (1668-1744 )**

تعتبر نظرية فيكو –الفن ظاهرة اجتماعية ينطبق عليه ما ينطبق على المجتمع بشكل عام لذلك فالفن يخضع لنفس القوانين التي يخضع لها المجتمع كله ففي نظره أن المجتمع البشري و كذلك الفن مروا بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: يسميها مرحلة الآلهة حيث ساد الرعب و الخوف مما دفع الناس إلى تصور الأرواح الخفية و لذلك تشعبت عقلية الإنسان و كذلك الفن بروح  الخرافة و أصبح فنا لاهوتيا أسطوريا في نزعته .

المرحلة الثانية: يسميها بمرحلة الأبطال حيث كان الفن هو الوسيلة لتمجيد الأبطال و أعمال السادة الأحرار و هذا ما نجده في الفن اليوناني هوميروس و الفن الروماني.

المرحلة الثالثة: يسميها بمرحلة الحرية تسود الحقوق المدنية و السياسية التي تتقدم الفنون في هذا العهد و يصبح الفن هو وسيلة التعبير عن الحياة اليومية.

**ثالثا :** -**نظرية أوغست كونت – فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ( 1798-1857**م )

صاحب نظرية مراحل تطور الفكر الإنساني اللاهوتي الميتافيزيقي و الوضعي ففي حديثه عن طور التقديس الأعمى بوصفه أول طور لاهوتي يذكر  كونت أثره في الفنون الجميلة و لم يكن هذا الاثر جافا حيث لا بد ان تروق للخيال عقيدة وهبت الحياة للكون كله و قد نشأت كل الفنون الجميلة في تلك الحقبة و كان الشرك و هو الطور الثاني للمرحلة اللاهوتية مواتيا كذلك للفنون و قد دفع الشرك الخيال و العاطفة فوق العقل و استخدام الفنون ليترجم فلسفته الدينية لجمهور  الناس بشكل حسي و كلما ادخل معبود جديد أضفت عليه الفنون بزة و هيئة و تاريخا فتلا مع وظيفة قاعدة الشرك بتوفيره الظروف المواتية لتقدم الفن على السمو به إلى مكانة عالية .

**رابعا : -نظرية كارل ماكس: (1818 - 1883)-**

تؤكد نظرية كارل ماكس على دور البيئة –و بخاصة الاجتماعية الاقتصادية في تحديد الخصائص الأساسية في الفن فالتغيرات في البيئة كما هو شأن الثورة التي تعيد توزيع الثروة و السلطة تجنح إلى تبديل أشكال التعبير الثقافي جميعها .

إن طراز الفن و نوعيته في أي زمن لا ترجعان الى أي الهام خارق للطبيعة أو سمو عنصري فطري بل إن الأحوال الاجتماعية تستطيع أن تهيئ للفن موضوعاته و اتجاهاته العامة إلا أن ثمة دوما مجالا فسيحا للتنوع الفردي فان الأحوال الاجتماعية لا تحدد التفاصيل النوعية أو الأساليب الفردية في كل حقبة و ليس في مقدور العوامل الاجتماعية الاقتصادية البحتة أن تتنبأ بالطرق المضبوطة التي  تعالج أو تفسر بها العبقرية الموضوعات العامة و لكن الأحوال الاجتماعية قد تطلق العنان لقوة الخلق و الإبداع و تلهمها و العكس أي أنها تطلقها أو تقضي عليها.

**خامسا : نظرية هربرت سبنسر –فيلسوف بريطاني (1820-1903م )**

رأى سبنسر أن تطور الفنون كان و لابد أن يظل جزءا مكملا لتطور الكون بما في ذلك العقل و المجتمع و الحضارة و استشهد بأمثلة من تاريخ كثير من مختلف الفنون الجميلة و التطبيقية البدائية و الحديثة ليظهر أن نفس النزعات التطورية حدثت فيها .

كما حدثت في ارتقاء الحيوان و النبات و الأشكال الاجتماعية و كان الفن يسير إلى أن يكون أكثر تعقيدا و في عمليته هذه كان على وجه الإجمال يتحسن من حيث نوعيته و كان يتطور و يتقدم جنبا الى جنب مع العلم و التكنولوجيا .

**سادسا نظرية اميل دوركهايم – فيلسوف و عالم اجتماع فرنسي( 1858- 1917 )**

قال أن الفن ظاهرة اجتماعية و انه إنتاج نسبي يخضع لظروف الزمان و المكان و هو عمل له أصول خاصة به و له مدارسه و لا يبنى على مخاطر العبقرية الفردية و هو اجتماعي أيضا من ناحية انه يتطلب جمهورا يعجب به و يقدره و على هذا فالفنان في نظر **دوركهايم** لا يعبر عن الأنا بل عن –النحن- أي عن المجتمع بأسره و لا يتم ذلك عن طريق التأمل الشعوري  بل عن طريق الاختمار اللاشعوري و هو ما يشبه الحمل الفني يصدر عن الإلهام أو الوحي ما داموا لا يملكون بأيديهم خيوط التأثير الاجتماعي التي تكون في الواقع بعيدة الغور متشابكة تماما و معقدة و متداخلة و على الرغم من ان المجتمع هو مصدر الأعمال الفنية إلا أن الأصالة الفنية عند الاجتماعيين هي ان يدخل الفنان على التراث الفني للمجتمع تعديلات و تطورات او تاليفات لم تكن مدركة من قبل و لكنها مع ذلك موجودة في المجتمع و مشتقة من كيانه و ذهب **دوركهايم** إلى أن الدين كنظام اجتماعي هو الأصل في نشأة الفنون جميعا .

**سابعا : نظرية ارنست فيشر- صحفي وكاتب نمساوي ( 1899 - 1972)**

إن الإنسان يطمع إلى أن يكون أكثر من كيانه الفردي يريد أن يكون أكثر اكتمالا فهو لا يكتفي بان يكون فردا منعزلا بل يسعى إلى الخروج من جزئية حياته الفردية الى كلية يرجوها و يتطلبها إلى كلية تقف فرديته بكل ضيقها حائلا دونها .

انه يسعى إلى عالم أكثر عدلا و اقرب الى العقل و المنطق و هو يثور على اضطراره إلى إفناء عمره داخل حدود حياته وحدها داخل الحدود العابرة العارضة لشخصيته وحدها انه يريد أن يتحدث عن شيء أكثر من مجرد أنا عن شيء خارجي و هو مع ذلك جوهري بالنسبة إليه انه يريد أن يحوي العالم المحيط به و يجعله ملك يده عن طريق العلم و التكنولوجيا يمد هذه الأنا المتطلعة المتشوقة لاحتواء العالم إلى ابعد حدود مجرات السماء و إلى عمق أسرار الذرة كما يربط عن طريق الفن هذه الأنا الضيقة بالكيان المشترك للناس و بذلك يجعل فرديته اجتماعية.